رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي

الشيء الوحيد الذي على المسيحي أن يعمله

تأليف: دفيد روبر

❋ فيلبي ١: ٢٧-٣٠

هل تعبت قط من مبشرين ومعلمين يخبرونك بما عليك أن تعمل كمسيحي؟ هل شعرت بضجر من الاستماع المتواصل للتعليمات عن حياة التقوى ومساعدة الآخرين؟ هل تمنيت قط أن يكون هناك ملخص مختصر لما هو مطلوب لإتباع يسوع؟ إذا كان الأمر كذلك، تشجع – لأن هذا ما عمل بولس في رسالته إلى أهل فيلبي ١: ٢٧:

> فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، حَتَّى إِذَا جِئْتُ وَرَأَيْتُكُمْ، أَوْ كُنْتُ غَائِبًا أَسْمَعُ أُمُورَكُمْ أَنَّكُمْ تَثْبُتُونَ فِي رُوحٍ وَاحِدٍ، مُجَاهِدِينَ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ لإِيمَانِ الإِنْجِيلِ.

الكلمة المترجمة إلى «فقط» في الآية هي من ظرف حال للكلمة اليونانية «مونون μόνον». ومعناها «فقط، وحده ... محدداً الفعل أو الحال لما يصفه الفعل»[١]. ترجم جرالد هاوثورن هذه الكلمة إلى «فقط ودائماً»[٢]، وقال: «افتتح بولس هذا الجزء {من رسالته هذه} بظرف حال {مونون μόνον} ... وبهذا وضع التشديد على أن الشيء الضروري الوحيد ... الذي ينبغي أن يعمله المسيحيين هو أن يعيشوا كما يحق لإنجيل المسيح»[٣]. وسع وليم باركلي هذه الكلمة في ترجمته لتعني «الشيء الوحيد الذي يجب أنٍ تعملوا»، ثم قال في تعليقه: «شيء واحد ضروري جداً بغض النظر عما يحدث ... ينبغي للفيلبيين أن يعشوا كما يحق لإيمانهم وما يدعون به»[٤].

يتفق بعض المفسرون مع وجهة نظر «مونون μόνον» هذه. كتب أليك موتير قائلاً: «قوة الكلمة 'فقط' {الواردة في هذه الآية} هي قوة هائلة، كما لو كان بولس قد قال 'هذا الشيء الواحد فقط'. لا يجب لشيء آخر أن يصرف انتباههم عن هذا الهدف العظيم أو يعطيهم أي مبرر؛ يجب أن يكون هذا كل العمل الذي يعملونه ...». كتب شارلس إردمان: «بالنسبة للمسيحي تكون القاعدة العامة لحياته هي انها يجب أن تكون

---

[١] وليم أف أرندت و أف ويلبر قينغريج في معجم اللغة اليونانية بعنوان «A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature»، صفحة ٥٥٩.

[٢] جيرالد أف هاوثورن في تفسيره بعنوان «Word Biblical Commentary» المجلد ٤٣ بعنوان «Philippians»، تحرير دفيد أ هوبارد وقلين دبليو بيكر، صفحة ٥٤.

[٣] المرجع السابق، صفحة ٥٥.

[٤] وليم باركلي في تفسيره بعنوان «The Letters to the Philippians, Colossians, and Thessalonians»، من سلسلة «The Daily Study Bible Series»، الطبعة المنقحة (١٩٧٥)، صفحة ٢٩.

كما يحق لإنجيل المسيح»[٥].

بمفهوم ما، أخذ بولس كل ما هو مطلوب لأن يتبع الشخص الرب بإخلاص وحصره في هذا: «الشيء الوحيد الذي ينبغي لكم أن تعملوا هو «عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ». إيجب أن نقول إذن: «هذا شيء عظيم – لا يجب أن أهتم في ما بعد بالمتطلبات الأخرى التي يتكلم عنها المبشرون؟» كلا. كلام بولس هذا مليء بالمعاني، ولكن لا تجعل كلامه هذا يعني شيء لم يكن يقصده.

في الأسفار المقدسة يقال كلام من وقت إلى آخر ليلخص مسؤولية المسيحي لأبيه السماوي. على سبيل المثال، كتب ميخا النبي في كتاب العهد القديم قائلا: «... وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ» (ميخا ٦: ٨). هل كلام ميخا الموحى به هذا يعني انه كان يمكن للإسرائيليين أن يتغاضوا عما يزيد عن ست مئة من الشرائع التي حددها معلمو الشريعة في ناموس موسى؟ كلا. عندما تحدث يسوع عن الناموس في إنجيل متى ٥: ١٧ و١٨، قال أيضا: «فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ...» (متى ٥: ١٩).

المسيح نفسه لخص الناموس كله ذات مرة في كلمات قليلة: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (متى ٢٢: ٣٧-٣٩). أهذا يعني انه كان لمستمعيه أن يتغاضوا عن كل الأشياء الأخرى التي أوحى بها الله؟ كلا. كلام يسوع هذا هو شامل ولخص جميع الوصايا بما يختص بعلاقة الشخص مع الله والناس. إن كنت تقبل المبادىء الواردة في إنجيل متى ٢٢: ٣٧-٣٩، ستعمل كل ما بوسعك لحفظ كل وصية من وصاية الرب (راجع متى ٧: ٢١-٢٣؛ يوحنا ١٤: ١٥؛ عبرانيين ٩:٥؛ ١ يوحنا ٥: ٣).

أنظر مرة أخرى في ما ورد في الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ٢٧. كان بولس يتحدث عما إذا كان سيحيا أو يموت، وعما إذا كان سيرى أهل فيلبي مرة أخرى أو لا (١: ٢١-٢٧). ثم حول الانتباه من حالته إلى حالتهم. قال بالحقيقية: «أني أرجو أن آتي قريباً لأراكم، ولكن سواء استطعتُ أن أفعل هذا أو لا، أطلب منكم شيء واحد، وهو: عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ». أني أحب الإيجاز في كلام بولس الرسول. وفي الوقت نفسه لا يجب استخدام كلامه هذا للتقليل تعليم العهد الجديد بصفة عامة. فوجئتُ عندما وجدتُ أن بعض المفسرين يفعلون هذا الشيء عينه. في الواقع، يقولون: «لا يجب أن تهتم بما يقول الكتاب المقدس عن العقيدة والمعايير الاخلاقية وما شابه ذلك. كل ما عليك أن تعمل هو ما قال بولس هنا». الذين يستخلصون هذا، هم مذنبين بعزل النصوص المقدسة. عندما قرأ أهل فيلبي هذه الكلمات، أتظن انهم استجابوا قائلين «ما أجمل هذا! لا يجب أن نستمع في ما بعد لأي شيءٍ يقوله بولس»؟ كان بولس وأهل فيلبي سيرتعبون جداً بسبب مثل هذا الكلام.

كلام بولس هذا هو كلام شامل مثلما ورد في سفر ميخا ٦: ٨ وإنجيل متى ٢٢: ٣٧-٣٩. الذين يكرسون أنفسهم ليعيشوا كما يحق لإنجيل المسيح سيعملون كل ما باستطاعتهم ليطيعوا كل وصية للرب (راجع فيلبي ٢: ١٢). سندرس بعض من هذه المتطلبات الإلهية عندما نفحص نص درسنا هذا: فيلبي ١: ٢٧-٣٠. عند حديثنا عن هذه المتطلبات أرجو الذكر بانها جزء من الشيء «الوحيد الذي ينبغي للمسيحي أن يعمل».

كن فريد الشخصية (١: ٢٧)

لنبدأ بالفحص الدقيق في ما قصد بولس عندما قال: «عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ». استخدم بولس كلمة يونانية غير عادية عندما قال: «عيشوا». تُتَرْجَم تلك الكلمة «πολιτεύεσθαι بوليتوسثاي» إلى «سياسة». وتعني «تصرفوا كمواطنين». قال بولس في وقت لاحق من هذه الرسالة: «سِيرَتَنَا[٦] نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ» (٣: ٢٠؛ راجع أفسس ٢: ١٩).

[٥] تشارلز آر إردمان في تفسيره للرسالة إلى أهل فيلبي بعنوان «The Epistle of Paul to the Philippians»، صفحة ٧١.

[٦] الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «سيرتنا» قد تعني «مواطنتنا» (من: مواطنة).

لكي نقَدِّر هذا المصطلح الذي استخدمه بولس يجب أن نضع في الاعتبار أن فيلبي كانت مستعمرة رومانية (أعمال ١٦: ١٢). «كانت كل مستعمرة رومانية عبارة عن روما مصغرة مغروسة في أماكن بعيدة في جميع أنحاء العالم. المواطن الروماني، أينما كان، لا ينسى أبداً انه روماني»[٧]. «كان يتكلم اللغة اللاتينية ويلبس الملابس اللاتينية، ويسمون حكام بالأسماء اللاتينية بغض النظر عن بعده من روما»[٨]. في الواقع، قال بولس لأهل فيلبي: «آنتم تعرفون كيف تتصرفون كمواطنين رومانيين، والآن عليكم أن تتعلموا كيف تتصرفوا كمواطني الملكوت السماوي. المواطنة الرومانية تجعلك شخص خاص، ولكن المواطنة السماوية تجعلك فريداً في نوعه!»

كيف كان عليهم أن يعيشوا/يتصرفوا كمواطني ملكوت السماء؟ «كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ». كان عليهم أن يتصرفوا بحيث يكون الفضل للإنجيل، وبالكيفية تأتي بإكرام للإنجيل، وبالكيفية التي تجذب الآخرين إلى الإنجيل. عندما أفكر بنصيحة بولس هذه، يأتي ببالي الأميركيون الذين زاروا أستراليا عندما كنتُ أقيم هناك. كان معظمهم أناس محبوبين، ولكن كان هناك قليلون منهم لا يمثلون بلدي بطريقة صحيحة. عندما كانوا يأتون إلى كنيستنا للعبادة يشتكون بكثرة عن الطعام في أستراليا والعادات الأسترالية. كان ذلك يحرجني أن يعرف إخواني وإخوتي الأستراليون بانه هؤلاء الزوار هم أميركيون. انهم لم يتصرفوا بطريقة تأتي بالإكرام لمواطنتهم.

عند مرورنا بالحياة تكون هناك قرارات يجب إتخاذها ومشاكل يجب حلها. أحياناً تكون الأسفار المقدسة واضحة بخصوص ما يجب أن نعمل؛ وأحياناً أخرى علينا أن نعتمد على المبادىء العامة في كلمة الله. عندما نواجه تحديات الحياة، قد تساعدنا الإسئلة التالية على إيجاد الحلول: «ماذا يفعل مواطن السماء في هذه الحالة؟ كيف يتصرف مواطن السماء {في هذه الظروف}؟» إن كنت مسيحياً، أرجو ألا تنسى أبداً أنك فريد – لأنك مواطن ملكوت الله!

كن ثابتاً في المبدأ (١: ٢٧ و٣٠)

لم يكن لأهل فيلبي أن يخمنوا بما كان يقصد بولس عندما قال لهم أن يعيشوا «كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ». استمر قائلاً: «... حَتَّى إِذَا جِئْتُ وَرَأَيْتُكُمْ، أَوْ كُنْتُ غَائِبًا أَسْمَعُ أُمُورَكُمْ أَنَّكُمْ تَثْبُتُونَ فِي رُوحٍ وَاحِدٍ ...» (الآية ٢٧). ترجمت كلمة «روح» في هذه الآية من إحدى صيغ الكلمة اليونانية «پنيوما πνεῦμα». قد تشير إلى الروح القدس، ولكن في هذا السياق ربما تشير إلى روح الإنسان. استمر بولس مع العبارة «بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (الآية ٢٧). تمنى بولس أن يسمع أن قُرَّاءه «{ثابتين} ... مُجَاهِدِينَ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ لإِيمَانِ الإِنْجِيلِ». وكان يتوقع أن يزور هؤلاء الإخوة مرة أخرى (الآيات ٢٥-٢٧)؛ ولكن سواء حدث ذلك أم لا، أراد لهم أن يبقوا مخلصين للرب.

هناك فكرة رئيسية تسرى من الجزء الأخير من الأصحاح الأول إلى مقدمة الأصحاح الثاني وهي «وحدة». وضع بولس التوكيد ثلاث مرات في ١: ٢٧ على الحاجة إلى الوحدة هناك:

* أراد لقراءه أن يتوحدوا في السلوك: «فِي رُوحٍ وَاحِدٍ».
* أراد لهم أن يتوحدوا في الاهتمام: «بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ».
* وأراد لهم أن يتوحدوا في العمل: «مُجَاهِدِينَ مَعًا».

الوحدة شيء هام جداً. يكون العمل بالمتطلبات الواردة في الآية ٢٧ أسهل لو كنا نعملها مع الآخرين.

---

[٧] ماكسي دي دونام في تفسيره بعنوان «Galatians, Ephesians, Philippians, Colossians, Philemon» من مجلد «The Communicator's Commentary» تحرير لويد جاي أوجيلفي، صفحة ٢٧٢.

[٨] وليم باركلي في تفسيره بعنوان «The Letters to the Philippians, Colossians, and Thessalonians»، من سلسلة «The Daily Study Bible Series»، الطبعة المنقحة (١٩٧٥)، صفحة ٣٠.

حيث تقول الآية «مُجَاهِدِينَ مَعًا»[٩]، «يمكن إعادة صياغة النص الأصلي إلى 'مصارعين معاً' مثل الرياضيين في دعوى مشتركة. هذا، كما لو كان بولس واقفاً بجانب الخط يحثهم قائلاً: 'دعونا نرى عمل جماعي عظيم!'»[١٠].

سنكف عن حديثنا المطول عن الوحدة حتى نصل إلى ٢: ٢ في درسنا القادم. وأما الآن فأريد التركيز على التوكيد في ١: ٢٧ بإنه مهما قد يعمله العالم للمسيحي، عليه أن يبقى **ثابتاً**. لقد نصح بولس الإخوة في فيلبي أن **يثبتوا** (راجع ١ كورنثوس ١٦: ١٣؛ أفسس ٦: ١١، ١٣، ١٤؛ ١ تسالونيكي ٣: ٨؛ ٢ تسالونيكي ٢: ١٥).

نحن منخرطون في الصراع الروحي بين الحياة والموت (راجع أفسس ٦: ١٠-١٧؛ ٢ كورنثوس ١٠: ٤). قال بولس لأهل فيلبي انه عليهم أن يجاهدوا الجهاد نفسه الذي كانوا قد رأوه وما زالوا يرونه يجاهده (فيلبي ١: ٣٠). «العالم ... دائماً ... بيئة معادية للمسيحية»[١١].قد يكون إيمانك هدفاً للهجوم. قد يسخر الناس بقناعاتك ومعاييرك. يعرف إبليس ضعفاتك وسيغريك لإرتكاب خطأ. قد تكون الحياة مربكة أحياناً. عندما يحدث أي من هذه الأشياء، يريد بولس منك أن تقترب من الرب وتقف ثابتاً فيه (فيلبي ٤: ١؛ ١ بطرس ٥: ٧).

من إحدى ساحات المعارك هي «إيمان الإنجيل» (فيلبي ١: ٢٧). تشير كلمة «إيمان» هنا إلى مجموعة التعليم التي تركز على الإيمان بيسوع – أي العهد الجديد. إيمان الإنجيل تحت هجوم مستمر. هناك من يحتقرونه، وهناك من يقللون من شأنه، وهناك من ينكرونه، وهناك من يريدون هدمه. ولكن ينبغي لنا (أنا وأنت) أن نعمل به (أي نعيشه)، ونعلنه وندافع عنه وحتى نموت من أجله! ينبغي أن «{نجتهد} لأَجْلِ الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ» (رسالة يهوذا ٣).

لا تخافوا في الاضطهاد (١: ٢٨-٣٠)

إن كنا في معركة، لا بد أن هناك خصوم. وضع بولس التوكيد في مكان آخر على أن خصومنا من الناحية الروحية هم إبليس وأعوانه (أفسس ٦: ١١ و١٢). ولكن كقاعدة عامة، يعمل إبليس بواسطة الناس (راجع متى ١٦: ٢٣؛ يوحنا ٦: ٧٠).

استمر بولس قائلاً: «غَيْرَ مُخَوَّفِينَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُقَاوِمِينَ» (الآية ٢٨). لا نعلم يقيناً من كان هؤلاء «الْمُقَاوِمِينَ»، ولكن في الآية ٣٠ قال بولس الرسول أن المسيحيين في فيلبي كانوا يختبرون «الجهاد عينه» الذي كان قد اختبره في تلك المدينة ويختبره الآن في روما. كان مقاومو بولس في فيلبي هم السلطات الحكومية يحرضهم مواطنو تلك المدينة (راجع أعمال ١٦: ١٩-٢٢). وكان الذين يقاومونه بصفة أساسية في روما هم السلطات الحكومية التي كان قد حرضها مواطنو أورشليم (راجع أعمال ٢٥: ٦-١١). ربما كان مقاومو أهل فيلبي الأساسيون هم المسؤولين الحكوميين المتأثرون بالسكان الوثنيين، وربما أيضاً {بتأثير} من الجالية اليهودية الصغيرة.

أياً كان مقاومو أهل فيلبي، لا بد أن الجهاد كان شديداً أحياناً، لأن بولس حث الأخوة ألا يكونوا «مُخَوَّفِينَ بِشَيْءٍ» من أعداءهم. هذه الكلمة «كانت تُستخدم في الأصل للإشارة إلى الحيوانات الخائفة المرتعبة، وبصفة خاصة الخيول الخجولة أو القطيع المشتت المذعور الذي لا يمكن السيطرة عليه»[١٢]. صور بذهنك قطيع من الخيول أرعبه البرق فجأة عبر البراري[١٣]. إن كنت تفضل مثال بشري، فكر بالتلاميذ الذين «هربوا» {أي «فروا»} من بستان جثسيماني {عندما تم القبض على يسوع المسيح} (متى ٢٦: ٥٦). طلب بولس من قُرَّاءه

---

[٩] هذه عبارة في اللغة اليونانية هي من الكلمة المركبة «ساناثليو συναθλέω» والتي تجمع حرف الجر «سان» (أي «مع») مع «أثليو ἀθλέω» {«رياضي»}. تفيد هذه الكلمة «المنفسة كما للرياضيين» (من معجم: «The Analytical Greek Lexicon»، ٣٨٥ ، ٨).

[١٠] أفون مالون في كتاب بعنوان «Press to the Prize» من صادرات «20th Century Christian»، صفحة ٤٥.

[١١] جيمس بارتون كوفمان في تفسيره بعنوان «Commentary on Galatians, Ephesians, Philippians, Colossians»، صفحة ٢٧٣. المسيحيون الذين يعيشون في بيئة معادية للإنجيل يدركون حقاً نصيحة بولس هذه.

[١٢] جون أ نايت في تفسيره بعنوان «Philippians, Colossians, Philemon» من مجلد «Beacon Bible Expositions»، صفحة ٥٧.

[١٣] قد يكون بعض المستمعين أكثر إلماماً بحيوانات كبيرة أخرى تفر مذعوراً أحياناً.

ألا يكونوا خائفين هكذا. قال يسوع لتلاميذه: «... أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَبَعْدَ ذلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ» (لوقا ١٢: ٤). تقول الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ٦: «... إِنَّنَا نَقُولُ وَاثِقِينَ: الرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ؟».

ما الذي كان سيساعد أهل فيلبي ألا يفروا مذعورين عندما يتألمون من أجل إيمانهم؟ قدم بولس ثلاث حقائق لدعم منظورهم. أولاً، كانت آلامهم تبين أن الله يؤيدهم: «غَيْرَ مُخَوَّفِينَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُقَاوِمِينَ، الأَمْرُ الَّذِي هُوَ لَهُمْ بَيِّنَةٌ لِلْهَلاَكِ، وَأَمَّا لَكُمْ فَلِلْخَلاَصِ، وَذلِكَ مِنَ اللهِ» (الآية ٢٨). كان بإمكان أهل فيلبي أن يروا الاضطهاد كـ«بينة» {أي «دليل» أو«برهان»} بانهم ضعفاء ومقاوميهم أقوياء – ولكن بولس الرسول قال في الواقع: «كلا، بل هذا بينة انكم في الطريق إلى السماء!» الآلام وحدها ليست إثبات أن الله يؤيد ذلك الشخص {الذي يتألم}؛ ولكن إن كنت تتألم لأنك مسيحي. هذا يعني انك تعمل ما هو قويم! وقد يأتي هذا بعزاء، لأنه «إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟» (رومية ٨: ٣١).

قال أيضاً أن اضطهادهم كان «بَيِّنَةٌ لِلْهَلاَكِ» للذين يضطهدوهم. هل كان أعدائهم يعرفون أن جهودهم لهدم كنيسة المسيح كانت «بَيِّنَةٌ» لهلاكهم؟ ربما لم يعرفوا ذلك. هناك جدل عن كيف أن اضطهاد المسحيين يكون «بينة» لغير المؤمنين. في الواقع فإن المسيحيين لم يتعثروا حتى عند اضطهادهم قد يجعل القليل من مضطهديهم يقفون ويعيدوا النظر في ما إذا كانوا على صواب أو على خطأ. الأكثر احتمالاً هو أن مضطهدوا أهل فيلبي كانوا يعتبرون نجاحهم ضد المسيحيين كـ«بينة» أنهم على الصواب وأتباع يسوع كانوا على خطأ. ومع ذلك كانوا يقتربون كل يوم من الهلاك الأبدي. «المعارضة المستمرة للكنيسة والإنجيل هي علامة مؤكدة للدمار في نهاية المطاف، إذ انها تشمل رفضاً لطريق الخلاص الوحيد»[١٤]. أراد بولس لأهل فيلبي أن يعرفوا أن المشاكل التي كانوا يواجهونها هي إثبات من الله بانهم مخلصين وأن أعدائهم ضالين.

[١٤] ريشارد بي قافين جونيور في مذكراته للرسالة إلى أهل فيلبي «The NIV Study Bible» تحرير «Kenneth Barker»، صفحة ١٨٠٤.

الحقيقة الثانية التي قدمها بولس لمساعدة منظور أهل فيلبي عن الآلام كانت هي ان الآلام من أجل الرب هي إمتيازا: «لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ» الآية ٢٩). الكلمة اليونانية المترجمة في هذه الآية إلى «وهب» (إحدى صيغ الكلمة «خاريزوماي χαρίζομαι») هي من الأصل نفسه ككلمة «نعمة» («خاريس χάρις»). ومعناها «يعمل المعروف مجاناً»[١٥]. تذكر الآية ٢٩ عطيتين يعطينا الرب إياهما. إحدهما هي عطية الإيمان. يعطينا الرب إيمان بمفهوم أنه أعطانا الكتاب المقدس الذي يؤدي إلى الإيمان (رومية ١٠: ١٧) وعقول قادرة على فهم الحقائق الواردة به (أفسس ٥: ١٧). شكراً لله من أجل عطية الإيمان! بالإيمان نُوظف نعمة الله (أفسس ٢: ٨ و٩). ونبقى راسخين يوماً بعد يوم. الإيمان هو واحد من تلك العطايا الـ«صَالِحَة» التي «مِنْ فَوْقُ» (يعقوب ١: ١٧).

العطية الأخرى المذكورة في الآية ٢٩ هي شرف المعاناة/الآلام لأجل المسيح. تُسمى هذه بـ«العطية غير المرغوب فيها». أتصور بذهني مائدة ملآنة بالعطايا: فيها جميع البركات الرائعة التي يمنحنا الرب إياها. لو كان قد سُمِح للناس أن يختاروا أية من تلك العطايا يريدون، لكانت آخر عطية تبقى على المائدة هي عطية الآلام. أسمى تشارلز سويندول الإيمان «الجزء السار» لحياة المسيحي والآلام «الجزء الصعب»[١٦].

ومع ذلك، يعلمنا الكتاب المقدس أن الآلام جزء مما يختبره المسيحي وبان هناك قيمة في الآلام (راجع يوحنا ١٦: ٣٣؛ أعمال ٥: ٤١؛ ١٤: ٢٢؛ رومية ٥: ٣-٥؛ ٢ تسالونيكي ١: ٤ و٥؛ عبرانيين ١٢: ٥-٧ و١١؛ يعقوب ١: ٢-٤؛ ١ بطرس ٣: ١٤؛ ٤: ١٢-١٤). عندما نواجه الآلام بالإيمان يساعدنا هذا في النمو كمسيحيين.

ليست البركة في الآلام نفسها، بل في الآلام «من أجله» ـ من أجل يسوع. كتب بطرس قائلاً: «فَلاَ يَتَأَلَّمْ أَحَدُكُمْ كَقَاتِلٍ، أَوْ سَارِقٍ، أَوْ فَاعِلِ شَرّ، أَوْ مُتَدَاخِلٍ فِي أُمُورِ غَيْرِهِ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ كَمَسِيحِيٍّ، فَلاَ يَخْجَلْ، بَلْ

[١٥] من معجم «The Analytical Greek Lexicon»، صفحتي ٤٣٣ و٤٣٤.

[١٦] شارلس آر سويندول في كتابه بعنوان «Laugh Again»، صفحة ٧٢.

يُمَجِّدُ اللهَ مِنْ هذَا الْقَبِيلِ» (١ بطرس ٤: ١٥ و١٦). الآلام من أجل الرب شرف. قال يسوع:

> طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.
> طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ ... (متى ٥: ١٠-١٢).

الحقيقة الثالثة التي قدمها بولس لتحسين منظور أهل فيلبي بما يختص بالآلام هي أنهم كانوا في شركة جيدة عندما كانوا يتألمون: «إِذْ لَكُمُ الْجِهَادُ عَيْنُهُ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ فِيَّ، وَالآنَ تَسْمَعُونَ فِيَّ» (فيلبي ١: ٣٠). الكلمة المترجمة هنا إلى «الجهاد» هي صيغة من صيغ الكلمة اليونانية «أقون ἀγών»، وقد تعني «صراع عنيف». وكانت تُستخدم لوصف القتال الشرس من قبل الجالدين[١٧] في الميدان[١٨]. ربما ملأت الكلمات الواردة في الآية ٣٠ فكر المسيحيين الفيلبيين بذكريات لما قد جابهه بولس في فيلبي. (أترى الإحراج على وجه السجان؟) والآن يواجهون ذلك النوع من الجهاد. أراد لهم بولس أن يعرفوا أنهم ليسوا لوحدهم – وبانه يفهم الوضع.

كتب بولس في رسالته الثانية إلى تيموثاوس قائلاً: «وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ» (٢ تيموثاوس ٣: ١٢). عندما حدثَ لك هذا، قد تعزيك الحقائق الثلاثة التالية وتقويك:

* آلامك تبين تأييد الله لك.
* الآلام من أجل المسيح شرف.
* انك في شركة جيدة عندما تتألم من أجل البر (راجع متى ٥: ١٢).

الخلاصة

نحن نتحدث عن «الشيء الوحيد الذي يجب أن يعمله المسيحي». إن كنت على أمل أن تعرف شرط واحد سهل العمل به، فإنك قد تصاب بخيبة الأمل، لأننا قد تطرقنا إلى شتى أنواع المسؤوليات. ومع ذلك أتمنى أن الفكرة التالية قد تساعدك: «عليَّ شيء واحد وهو أن أعمل كمسيحي، وهو: أن أتصرف كمواطن لملكوت السماء!»

إن كنا ندرك اننا مواطني ملكوت السماء، يساعدنا ذلك في تتميم المسؤوليات المذكورة في الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ٢٧-٣٠.

* معظم المواطنون يفتخرون بمواطنتهم. ونحن كمواطني السماء، يجب أن نعرف مكانتنا الفريدة ونعيش بحيث نعكس بصورة جيدة عن «وطننا».
* المواطنون جزء من شيء أكبر من أنفسهم، عندما يتوحدوا يستطيعوا مواجهة أعدائهم. نحن كمواطني السماء ندعم بعضنا البعض؛ وبهذا نستطيع أن نثبت مهما كانت العقبات.
* يكتسب المواطنون الشجاعة من خلال التكاتف معاً. نحن كمواطني العالم الآتي، لسنا خائفين من هذا العالم. بل «فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (رومية ٨: ٣٧).

في الدرس الذي بعنوان «نقف متحدين» عن فيلبي ٢: ١-٤، سنواصل حديثنا عن الكيفية التي يجب أن يتصرف بها مواطنو ملكوت السماء.

مذكرة

هذا هو الجزء الأول من درس يتكون من جزئين. إن أردت أن تغطي الرسالة إلى أهل فيلبي في ثلاثة عشرة أسبوع، يجب أن تضم هذا الدرس مع الدرس القادم.

---

[١٧] المجالدين: الناس، وخاصة العبيد أو الأسرى الذين كانوا يُجبرون على القتال مع بعضهم البعض حتى الموت من أجل تسلية الجماهير في روما القديمة.

[١٨] راجع معجم «Analytical Greek Lexicon»، صفحة ٦؛ وأفون مالون في كتاب بعنوان «Press to the Prize» من صادرات «20th Century Christian»، صفحة ٤٧.

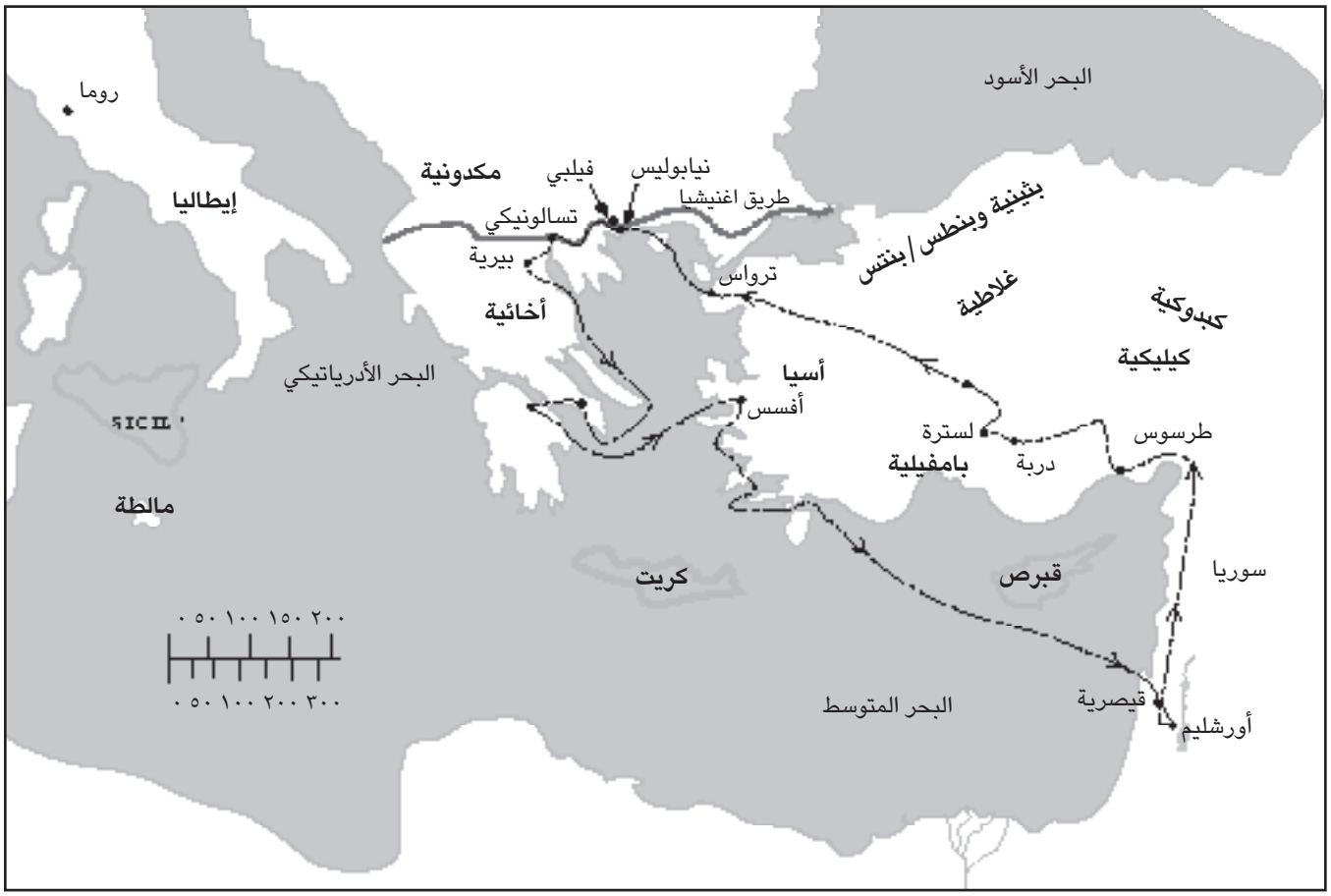

رحلة بولس التبشيرية الثانية، عندما أسس كنيسة فيلبي

التألم كمسيحي

«لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ».

(فيلبي ١: ٢٩)

«... أرجو الذكر أن القائد يختار أفضل الجنود لأصعب المهام، وأن الآلام من أجل المسيح شرف».

وليم باركلي
في تفسيره بعنوان

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠